(الرحلة المشرقية) في ستَّة مجلدات مشتملة على فوائد كثيرة، و(إيضاح المذاهب فيمن ينطلق عليه اسم الصاحب)، وكتاب (ترجمان التراجم على أبواب البخاري)، وله غير ذلك. قال الذهبي في النبلاء: ولما رجع من رحلته سكن سَبْتَة ملحوظاً عند الخاصة والعامة. (مات) في أواخر محرم سنة ٧٢١ إحدى وعشرين وسبعمائة بمدينة فاس.

(٤٩٤)

(مُحمَّدُ بن عُمَر بن عَليّ بن عبد الصَّمَد بن عَطِيَّة بن أحمد الأموي صَدْر الدين بن الوَكيل، وابن المُرحّل)[1]

وكان يقال له: ابن الخطيب. ولد في شوّال سنة ٦٦٥ خمس وستين وستمائة بدمياط، وسمع من ابن علَّان، والقاسم الإربلي، وغيرهما. وتفقّه بوالده، وشرف الدين المقدسي، وأخذ عن بَدْر الدين بن مَالِك، والصحفيّ الهِنْدي. وتقدّم في الفنون وفاق الأقران، وقال الشعر الحسن، وكان أعجوبة في الذكاء والحفظ. وحفظ المفصل في مائة يوم، وحفظ ديوان المتنبي في جمعة، والمقامات في كل يوم مقامة. وكان لا يمرّ بشاهد المعرب إلَّا حفظ القصيدة كلها. وأفتى وهو ابن عشرين سنة. قال ابن حَجَر: وكان لا يقوم لمناظرة ابن تيمية أحد سواه. ودرّس بالمدارس، وكثر حاسدوه حتى إنه بلغه أنَّهم رتبوا عليه دعوى في أمور أرادوا إثباتها عليه فبادر إلى القاضي سُليمان الحنبلي وسأله أن يحكم بصحة إسلامه وحقن دمه، ورفع التعزير عنه وعدالته وإبقائه على وظائفه فأجابه إلى ذلك كلّه. وكبسه جماعة فوجدوه مع جماعة يشربون الخمر فأمر النائب بمصادرته، فبادر اليوم الثاني إلى القاضي وأثبت محضراً شهد فيه الذين كبسوه أنهم لم يروه سكراناً ولا شموا منه رائحة الخمر وإنما وجدوه في ذلك البيت وفي المكان زبدية خمر، وشفع له بعض الناس فأُعفي من المصادرة، ثم جاء كتاب من السلطان يعزله من جميع جهاته التي كان يُدرّس فيها. ثم عُيّنت له بعد أيام وظائف كثيرة، وتقدّم واشتهر صيته، وكانت له وجاهة عند الدولة. وكان ممن أفتى بأن الناصر لا يصلح للملك، ودسّ أعداؤه إلى الناصر قصيدة ذكروا أنه هجاه بها فأراد القبض عليه بعض أمراء السلطان ففرَّ إلى غزة. قال جلال الدين القزويني: كنت عند الناصر فدخل الحاجب فقال: صدر الدين بن الوكيل بالباب، فقال: يدخل، فلما

---

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٤/ ١١٥؛ البداية والنهاية: ١٤/ ٨٢؛ النجوم الزاهرة: ٩/ ٢٣٣؛ شذرات الذهب: ٦/ ٤٠؛ كشف الظنون: ١٩، ١٠٠؛ هدية العارفين: ٢/ ١٤٣، معجم المؤلفين: ١١/ ٩٤؛ الأعلام: ٦/ ٣١٤.

دخل قال له الحاجب: بس الأرض فامتنع، وقال: مثلي لا يبوس الأرض إلّا للَّه. قال: فما شككت أن دمه يسفك، فقال له الناصر: أنت فقيه تركب البريد وتروح إلى مصر وتدخل بين الملوك وتعير الدول وتهجو السلطان، فقال: حاشا للَّه، وإنما أعدائي وحسّادي نظموا ما أرادوا على لساني، وهذا الذي تكلمته أنا معي، ثم أخرج قصيدة في وزن تلك القصيدة التي نسبوها إليه نحو مائتي بيت، فأنشدها فصفح عنه. قال جَلال الدين: فلما أصبحنا رأيت ابن الوكيل يُساير السلطان في الموكب والعسكر سائر، وعظم عند السلطان. وله مصنفات منها: (كتاب الأشباه والنظائر) من أحسن المصنفات، وشرع في شرح الأحكام لعبد الحق فكتب منه ثلاثة مجلدات. قال ابن حَجَر: وكان فيه لعب ولهو. قال الصفدي: حكى لي جماعة ممن كان يعاشره في خلواته أنه كان إذا فرغ توضأ ولبس ثياباً نظافاً وصلّى ومرَّغ وجهه. انتهى. وكان جواداً. قال السجدي: كنت معه ليلة عيد فوقف له فقير فقال شيء للَّه فالتفت إليّ وقال: ما معك؟ قلت: مائتا درهم، قال: ادفعها إليه فدفعتها إليه، ثم قلت له: يا سيدي غداً العيد، وليس عندنا شيء، فقال: امض إلى القاضي كريم الدين فقل له الشيخ يهنيك بهذا العيد، ففعلت، فقال: كأن الشيخ يطلب نفقة، أعطوه ألفي درهم، فرجعت بها إليه، فقال: الحسنة بعشر أمثالها. (ومات) في رابع وعشرين ذي الحجة سنة ٧١٦ ستّ عشرة وسبعمائة.

٤٩٥

(مُحمَّدُ بن قَلاون ابن عَبْداللَّه الصَّالحي الملك الناصر ابن المَنْصُور)[1]

ولد في صفر سنة ٦٨٤ أربع وثمانين وستمائة، وشُوهد عند ولادته وكفّاه مقبوضتان ففتحتهما الداية فسال منهما دم كثير. ثم صار يقبضهما، فإذا فُتِحتا سال منهما دم كثير، فاستدل بذلك أنه يسفك دماء كثيرة. فكان الأمر كذلك، وأول ما ولي السلطنة عقب قتل أخيه الأشرف في نصف المحرم سنة (٦٩٣) وعمره تسع سنين، وغلب على الأمر كتبغا وتسلطن، وعزل صاحب الترجمة، وكان ذلك في المحرم سنة (٦٩٤) ثم خلع كتبغا في صفر سنة (٦٩٦) وكان قد جهز الناصر إلى الكرك، وحلف له أنه إذا ترعرع أعاده إلى المملكة بشرط أن يعطيه مملكة الشام استقلالاً. ولما خلع كتبغا تسلطن لاجين، واستمر سلطاناً حتى قُتل في شهر ربيع الآخر سنة (٦٩٨)

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٤/ ١٤٤؛ النجوم الزاهرة: ٨/ ٤١؛ الأعلام: ٧/ ١١؛ فوات الوفيات: ٢/ ٢٦٣.